

خوزيامرة أربعينية تكامل فيها الخدمات

أ.د. حسن الياسري

بغداد في ١٥ آب ٢٠٢٥

في أعقاب انتهاء مراسم الزيارة الأربعينية ونجاحها، لا بدّ من الإشادة بالجهود الكبيرة المبذولة من الجهات المعنية جميعها، وفي مقدمتها العتبتين المقدستين الحسينية والعباسية بمتوليها الشرعيّين والأمانة العامة وكل ملاكاتها، والجهات الحكومية بوزاراتها ومؤسساتها ولا سيما وزارات (الداخلية والدفاع والصحة والنقل والكهرباء والنفط والتجارة.. الخ)، والأجهزة الأمنية، ومحافظة كربلاء، وكل المحافظات التي انطلق منها الزائرون سيراً على الأقدام أو مرّوا بها، والحشد، والمطارات والمنافذ الحدودية، والدفاع المدني والمرور والسكك الحديد، ووسائل الإعلام الوطنية، ومن قبل ذلك كله الجهود المضنية والكريمة والمشرّفة المبذولة من قبل المواكب الحسينية، ومبلّغي الحوزة العلمية الذين تولّوا، بتوجيه من المرجعية الدينية العليا، مهمة إرشاد الزائرين لمراعاة الجوانب الشرعية في أداء الزيارة، وأهالي كربلاء الكرام، وعمّال النظافة الكرام، وكل المتطوّعين في الخدمة والمساهمين في إنجاح الزيارة مهما كان دورهم فيها. إنّ هذه الجهود الجبّارة المبذولة في كل عام لخدمة زائري سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أضحت محلّ فخر للعراقيين وعلامة فارقة في تاريخ العراق جعلته يتربع على عرش دول العالم في الكرم

والجود والعطاء والإيثار مما لا نظير له في أية بقعةٍ أخرى من بقاع العالم قاطبةً، وهذا أمرٌ لا ينكره إلا من أعمى الله بصره وبصيرته. وفي اتجاهٍ مغايرٍ غدت هذه الزيارة شوكةً في أعين المبغضين ليس بإمكانهم التسليم بها ولا التخلص منها !!

وشتان أمرُ العراق بين عهدين، عهدٌ تقوم الحكومة فيه، في ظل النظام البعثي الصدامي البائد، بمحاربة الزائرين قتلاً وحبساً وتعذيباً ومنعاً وفي أقل التقادير وضعاً للعراقيل في طريقهم بغية منعهم من الزيارة بعد ضعف الحكومة في سنواتها الأخيرة، وعهدٌ ما بعد سقوط ذلك النظام أضحت الحكومة فيه تخدم الزائرين وتحميهم. وها أنتم أولاء تشاهدون وزراء (الداخلية والدفاع والصحة والنقل والكهرباء.. الخ) في كربلاء المقدسة للمتابعة الميدانية بأنفسهم وتوفير الحماية للزائرين وتقديم ما يمكنهم تقديمه من خدماتٍ لهم. وبغض النظر عن ملاحظتنا على أداء الحكومات في حقبة ما بعد ٢٠٠٣ فإنَّ ما سلف ذكره يعد حقيقةً ليس بوسع المنصف إنكارها طيلة السنوات المنصرمة !!

ولكون الجميع يرغب في تقويم العمل وإنجاحه، لذا لا بدَّ من المصارحة والتطرُّق إلى ذكر بعض الأمور التي باتت تمثل معضلةً في كل سنةٍ تؤرِّق الزائرين من ناحيةٍ والجهات المعنية من ناحيةٍ أخرى؛ بغية الوصول إلى زيارةٍ مليونيةٍ تخلو من النواقص في الخدمات. مع التنويه بأن ذكر هذه الأمور لا يعني بالضرورة إلقاء اللوم على تلك الجهات، بل للإشارة إلى أنَّ السبب

الرئيس يكمن في عدد الزائرين المهول الذي يزيد عن العشرين مليوناً سنوياً وهم يدخلون مدينةً صغيرةً جداً من حيث المساحة والإمكانيات. فمن المعروف أنَّ المدن تُصمَّم، من حيث الخدمات، لخدمة قاطنيها وهي تأخذ بالحسبان عددهم، ما يعني أنها غير مصمَّمة لدخول هذه الجموع المليونية الغفيرة في وقتٍ واحد. والأمر أشبه بالبيت العائلي الصغير فهو مصمَّم لسكنى العائلة بحسب عدد أفرادها وليس لضيافة مائة ضيفٍ دفعةً واحدةً مثلاً، فإذا دخل هذا العدد في وقتٍ واحدٍ ضاق البيت وظهرت مشكلات كثيرةٌ تتعلق بكيفية تقديم الخدمات إليهم. ومن هنا نلاحظ مدى المشكلات الكثيرة التي تواجهها بعض المؤسسات التي تقوم بتنظيم فعالياتٍ شعبيةٍ، مثل (الفيفا) التي تعاني الأمرين ومن كثرة الحوادث في تنظيم بطولاتها (مثل كأس العالم ودوري الأبطال) مع أنَّ عدد حضور المباريات في داخل الملعب هو عشرات الآلاف ليس إلّا !! ولهذا الأسباب ترفض السعودية فتح باب الحج أمام كل المسلمين، بل تُحدِّد عدداً معيناً يتناسب مع إمكانيات مكة المكرمة والمدينة المنورة. ما يعني أننا نحتاج إلى دراساتٍ ميدانيةٍ وتخصُّصيةٍ تُقوِّم الحدث وتضع الحلول المناسبة للتكيُّف مع هذه الجموع المليونية.

وانطلاقاً مما سلف لوحظ في السنوات الأخيرة، وتحديدًا في مرحلة ما بعد جائحة كورونا واستقبال كربلاء المقدسة هذه الجموع المليونية التي تتزايد سنةً بعد أخرى، أنَّ ثمة ثلاث مشكلاتٍ تحتاج إلى الدراسة بغية معالجتها وإيجاد الحلول المناسبة لها، وهي مشكلات النقل والكهرباء والماء.

١ - مشكلة النقل :

تبرز هذه المشكلة المتمثلة بتفويج الزائرين العكسي من كربلاء المقدسة بعد إتمام مراسم الزيارة. إذ يُلاحظ أنّ الجهات المعنية تواجه تحدياً كبيراً يتمثل بكيفية تفويج هذه الجموع المليونية في أوقاتٍ متقاربة. ومع أنّ وزارة النقل ووزاراتٍ ومؤسساتٍ أخرى تسهم في عملية التفويج، لكن العجلات والآليات التي تملكها تكون محدودةً قياساً مع هذا الطوفان البشري. وتزداد المشكلة تعقيداً إذا علمنا مدى التعب والإرهاق الذي يعانيه الزائر بعد إتمام مراسم الزيارة مما لا تكون لديه طاقةٌ للتحمل بعدها للسير مسافاتٍ طويلة لغرض الوصول إلى وسائل النقل، ثم في كيفية إيجاد وسيلة النقل هذه. كما تبرز مشكلةٌ أخرى تتمثل بتعب وإرهاق السوّاق نتيجةً لعدم نومهم أو قلّته في محاولةٍ منهم لمساعدة الزائرين ونقل أكبر عددٍ منهم، والنتيجة المترتبة على ذلك كثرة حوادث الطرق للأسف.

ويعلم الجميع أنّ السعودية لم تستطع حل مشكلة النقل في مكة المكرمة نهائياً مع أنّ عدد الحجّاج يتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين، فكيف بكربلاء وهي تعجُّ بأضعافٍ مضاعفةٍ لهذا العدد !! وعلى الرغم من جهود المحافظة ووزارة النقل ووزاراتٍ ومؤسساتٍ أخرى بيد أنّ المشكلة ما زالت مستعصيةً. وهنا نشير إلى بعض المقترحات لمعالجة هذه المشكلة :

أ- مشروع المترو : يمثّل هذا المشروع حلاً نهائياً لمشكلة النقل. إذ لا مناص من السعي الحثيث لإنشاء هذا المشروع (مترو كربلاء- بغداد) و (مترو كربلاء- النجف) و (مترو كربلاء- بابل)، وجعله من أولويات الحكومة ومشاريعها الاستراتيجية، بل وجعله من ضمن منهاج الحكومة المقبلة التي يُفضّل أن تتعهد بإكماله خلال مدة ولايتها. هذا فضلاً عن ضرورة جعله من أولويات محافظات كربلاء المقدسة والنجف الأشرف وبغداد وبابل. ولك أن تتخيل أنّ المسافة بين كربلاء وبغداد عبر المترو لن تتجاوز النصف ساعة إن لم تكن أقل.

ب- بالنظر لخبرة الصين الكبيرة في تشييد الجسور العملاقة، يمكن التفاهم معها حول إمكانية إنشاء مجسّرين، أحدهما يربط كربلاء بالنجف مباشرةً والآخر يربط كربلاء ببغداد مباشرةً. وهو أمرٌ يسيرٌ على الصين التي شادت جسوراً فوق البحار وبين الجبال الشاهقة تمتدُّ لمئات الكيلومترات. وإن كانت ثمة صعوباتٌ تتعلق بإنجاز هذا المشروع بسبب انعدام التخصيصات المالية أو قلّتها فيمكن للحكومة مَنْحُهُ للاستثمار الأجنبي، إلى شركةٍ عملاقةٍ متخصصةٍ في هذا الشأن من الصين أو غيرها، ويمكن الاتفاق على أن يكون المقابل الذي يأخذه المستثمر مبلغاً رمزياً من أصحاب العجلات المارة فوق المجسّر.

ت- وفضلاً عن ذلك يمكن تطوير وتوسيع خط السكك الحديد بين كربلاء وبغداد، والتفكير في إنشاء سكة حديد جديدة بين كربلاء والنجف.

ث- وبالنظر لكون ما تمّ ذكره آنفاً يمثّل مشاريع استراتيجية تستلزم وقتاً لتنفيذها، فيمكن معها ولاغتنام الوقت، قيام محافظة كربلاء بتخصيص أراضٍ قريبة من المدينة باتجاه محاور بغداد والنجف وبابل لغرض إنشاء مرائب-كراجات- عمودية وأفقية عملاقة مع تخصيص طرق جديدة، قدر الإمكان، تسلكها العجلات الخارجة من المرآب بدون المرور بالمدينة القديمة.

٢- مشكلة الكهرباء :

من المفترض أن نعلم أنّ السبب هنا قد لا يقع مباشرةً على عاتق الوزارة أو المحافظة، بل السبب المباشر، كما أسلفنا، يكمن في كثرة الضغط والأحمال الناجمة من وجود أكثر من عشرين مليوناً في محافظة مخصّصة لسكان لا يزيد عددهم عن المليون ونصف-لقد بلغ عدد الزائرين في هذا العام أكثر من ٢١ مليوناً-. بيد أنّ على الجهات المسؤولة الاعتراف بالمشكلة وعدم التغاضي عنها وعدم التقليل من حجمها. فلقد باتت مشكلة تَوَرُّق الزائرين من جهةٍ وأهالي كربلاء من جهةٍ أخرى. كما ينبغي على المعنيين الاعتراف بأنّ وجود هذه المشكلة من سنواتٍ أفضت إلى إحجام بعض الزائرين، من داخل العراق وخارجه، عن الذهاب إلى كربلاء للزيارة، وكذا أدّت إلى عودة

بعض الزائرين الأجانب إلى بلدانهم وقطع زيارتهم بسبب حرارة الطقس العالية وانقطاع الكهرباء. ولكون الزيارة سوف تستمر في ظل هذه الظروف الجوية الحارة القاسية إلى ما يربو على عشر سنواتٍ مقبلةٍ، ولكون المشكلة ذات أبعادٍ فنيةٍ تخصُّصيةٍ، لذا ينبغي على الجهات المعنية والمتخصِّصين التفكير في إيجاد حلولٍ بديلةٍ لمعالجة هذه المشكلة، ويمكن عرض بعض الأفكار في هذا الشأن، منها :

أ- تبني مشروعٍ جديدٍ للطاقة في كربلاء يعتمد على الطاقة الشمسية، فقد أثبتت هذه الطاقة نجاحها في البلدان الأخرى.

ب- إيجاد منافذٍ للطاقة الكهربائية المؤقتة التي اعتمدتها بعض البلدان، ومنها الكويت بعد انتهاء حرب الخليج الأولى في سنة ٢٠٠٣، فقد اعتمدت على مصادر مؤقتةٍ للطاقة الكهربائية في ذلك الحين.

ت- توفير محولاتٍ كهربائية خاصة بالمواكب الحسينية بحيث تغنيهم عن الحل الذي يقومون به الآن والذي تسبَّب في وقوع مشكلاتٍ يعلمها أهالي كربلاء. وهي أنهم يقومون عادةً بأخذ الكهرباء من المحولات الوطنية مباشرةً بطريقةٍ غير فنية، الأمر الذي ترتب عليه احتراق بعض هذه المحولات، خصوصاً وأن بعض هذه المواكب يُسرف في استعمال الكهرباء، إذ يستعين بعضها بسبالت كثيرة ومبردات عملاقة، ما تسبَّب في قطع الكهرباء عن بعض الأحياء في كربلاء !!

٣- مشكلة الماء :

لا أبالغ إذا قلت بأن مشكلة انقطاع الماء أصعب من سابقاتها، وقد تسببت في معضلة حقيقية يواجهها الزائرون عموماً وأهالي كربلاء بخاصة. وللأسف قد تسببت في عزوف البعض عن الزيارة وعن قطع بعض الأجانب زيارتهم وعودتهم إلى بلدانهم. وعلى الرغم من الجهود المبذولة من المحافظة لحل هذه المشكلة الخطيرة والتي أسفرت عن حلها جزئياً، لكنها ما زالت تؤرق الزائرين والأهالي. من هنا ينبغي على المعنيين أولاً الاعتراف بالمشكلة وعدم التغاضي عنها أو التقليل مما تسببه من مشكلات، وثانياً التفكير جدياً بإيجاد الحلول المناسبة لها. كما ينبغي توعية أصحاب الموكب الحسينية بعدم التعدي على الأنايب الرئيسة، إذ يقوم بعضهم بالحفر لغرض استخراج أنبوب الماء الرئيس كي يستعمله الموكب، ما يتسبب في هدر الماء باستمرار وقطعه عن عشرات البيوت التي تضم عشرات أو مئات الزائرين. كما ينبغي أن تقوم المحافظة بإيجاد البدائل لأصحاب هذه الموكب بحيث يمتنعون بعدها عن مثل هذا الفعل.

وتجدر الإشارة في الختام إلى ضرورة قيام الجهات المعنية عموماً ومحافظة كربلاء بخاصة بأخذ رأي أهالي كربلاء وأصحاب الموكب الحسينية بشأن المشكلات المعروضة في أعلاه والتداول بشأن الآليات المناسبة لمعالجتها؛ بغية الوصول إلى زيارة أربعينية متكاملة لا يعاني الزائر فيها ولا الأهالي في كربلاء.